



محطات في تاريخ القضية الفلسطينية 1948-1993م

STATIONS IN THE HISTORY OF THE PALESTINIAN CAUSE 1948-1993

أ.د. ميلود ميسوم

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

miloudmissoum02@yahoo.fr

د. معمر شعثوع

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

m.chachoua@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2024/01/08 تاريخ القبول: 2024/01/24 تاريخ النشر: 2024/03/31

ملخص :

تهدف هذه الورقة البحثية إلى محاولة إبراز أهم الأحداث والمتغيرات المؤثرة في تاريخ القضية الفلسطينية في النصف الثاني من القرن العشرين؛ باعتبار أن هذه الأحداث صنعتها دولة الاحتلال الصهيوني بمعية الولايات المتحدة وأوربا ، في محاولات منهم لتمكين الصهاينة من فرض واقعهم وتحييد السكان الأصليين.

وخلصت الدراسة إلى الوقوف عند أهم ردود الأفعال العربية والفلسطينية من تلك الأحداث المتسارعة ومن المؤامرة الغربية الصهيونية أمام صمت وتواطؤ دولي محكم.

كلمات دالة : القضية الفلسطينية، إسرائيل، الحروب العربية الإسرائيلية، الولايات المتحدة الأمريكية، مشروع السلام.

Abstract-

This research paper aims to attempt to highlight the most important events and variables affecting the history of the Palestinian issue in the second half of the twentieth century ;Considering that these events were created by the Zionist occupation state, together with the United States and Europe, in their attempts to enable the Zionists to impose their reality and neutralize the indigenous people.

The study concluded by examining the most important Arab and Palestinian reactions to these accelerating events and to the Western-Zionist conspiracy in the face of strong international silence and complicity.

Key words: The Palestinian issue, Israel, the Arab-Israeli wars, the United States of America, the peace project.

مقدمة

لم يهدأ الوضع في فلسطين منذ أن بدأت تطأ أقدام اليهود بتواطؤ الإدارة البريطانية أرض فلسطين منذ بداية العشرينيات من القرن العشرين، وعرفت عدّة أزمات ومواجهات بين السكان الأصليين والغزاة الصهيونية، ولم يكد يصدر قرار التقسيم حتى تفجر الوضع في المنطقة، وتحمل أبناء فلسطين أعباءها في الأشهر الستة الأولى، بمساعدة عدد محدود من المتطوعين، إذ رفضت الدول العربية إرسال جيوشها إلا بعد إجلاء بريطانيا لقواتها، وشكل الفلسطينيون جيش "الجهاد المقدس" بقيادة عبد القادر الحسيني، كما شكّلت الجامعة العربية جيشاً لانتقاد من متطوعي البلاد العربية والإسلامية. وقد عانى أبناء فلسطين من هزلة الدعم العربي بالسلح والعناد لدرجة مأساوية، ومع ذلك تمكّنوا من إثارة قلق اليهود ورعبهم فترة طويلة، ووصل الأمر بالولايات المتحدة للتفكير الجدي بالتراجع عن فكرة التقسيم. وفي مارس 1948م، وحتى دخول الجيوش العربية تمكّن الفلسطينيون من المحافظة على نحو 82% من أرض فلسطين رغم النقص المريع في كل شيء قياساً باليهود، ورغم تعاون البريطانيين - في أثناء انسحابهم - مع اليهود.

وتسعى هذه الورقة إلى الإجابة على إشكالية العلاقة الوطيدة التي تربط الحركة الاستعمارية الأوروبية ممثلة في بريطانيا ثم الولايات المتحدة الأمريكية بالحركة الصهيونية ودولة الكيان بعد 1948م، ودورها في الجريمة التاريخية في حق الشعب الفلسطيني.

1- انضمام فلسطين للجامعة الدول العربية :

كان لجمال عبد الناصر دوراً فعالاً في ضم فلسطين للجامعة العربية، حيث تم اختيار أحمد الشقيري ممثلاً لفلسطين مكان عبد الباقي، وكُلف بدراسة القضية الفلسطينية وسبل تحريكها وتنشيطها. وعندما انعقد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة في 13 جانفي 1964م، تقرر تكليف الشقيري بالاتصال بالدول الأعضاء والشعب الفلسطيني، "بغية الوصول إلى القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه، وتقرير مصيره"، ولم يقيم الشقيري بتقديم تقرير للجامعة حول السبل المقترحة؛ لقناعته بأنه سيكون عرضة لمزيد من المداورة والتأجيل، فقرر وضع البلاد العربية أمام الأمر الواقع. فقام بدعم مصري بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف.)، حيث انعقد المجلس الوطني الفلسطيني الأول في القدس في 28 ماي 1964م بحضور 422 ممثلاً للفلسطينيين، وبرعاية الملك حسين ملك الأردن، وأعلن ميلاد المنظمة رسمياً، وصودق على الميثاق القومي الفلسطيني الذي أكد على الكفاح المسلح لتحرير كل فلسطين، وعدم التنازل عن أي جزء منها، وانتُخب أحمد الشقيري رئيساً للمنظمة. وقد قررت م.ت.ف. تشكيل جيش التحرير الفلسطيني، كما قامت بعدد من الجهود التعبوية والإعلامية، ورحب الفلسطينيون بشكل عام بإنشاء م.ت.ف. باعتبارها تمثيلاً للكيانية الفلسطينية والهوية الوطنية التي جرى تغييبها سابقاً. وإن كان البعض مثل حركة "فتح" قد شكك في خلفيات إنشائها، وقد رتها على القيام بواجباتها⁽¹⁾.

2- حرب جوان 1967م وانعكاساتها على القضية الفلسطينية :

اندلعت الحرب العربية- الإسرائيلية في 05 جوان 1967م، بعد حالة من التصعيد المتبادل، قامت فيه مصر بإغلاق مضائق تيران في البحر الأحمر، وطلبت من مراقبي الأمم المتحدة على حدودها المغادرة، وأعلنت البلاد العربية استعدادها لمعركة المصير وتحرير فلسطين. لكن القوات الإسرائيلية قامت في صباح 05 جوان بتدمير الطيران في المطارات المصرية والأردنية والسورية، وفي غضون ستة أيام كان الأمر قد انتهى

بكارثة عربية جديدة⁽²⁾، فاحتل الصهاينة باقي فلسطين (الضفة الغربية 5878 كم²، وقطاع غزة 363 كم²) وصحراء سيناء المصرية 61198 كم² ومرتفعات الجولان السورية 1150 كم²، ودخل الجنود اليهود بيت المقدس والمسجد الأقصى وهم يهزجون "حط المشمش عالتفاح... دين محمد ولّي وراح"، و"محمد مات... خلف بنات" ويصرخون "يا لثارات خير..."، وصحت الجماهير العربية والإسلامية على هول كارثة لم تدر بخلدّها، واكتشفوا مدى الزيف والخداع والأوهام التي غدّهم بها الأنظمة العربية طوال التسعة عشر سنة السابقة، فقد تم تدمير سلاح الطيران المصري والسوري والأردني وهو لا يزال قابلاً في مدرجاته. وتم تدمير 80% من أعتدة الجيش المصري، واستشهد حوالي عشرة آلاف مقاتل مصري و6094 مقاتلاً أردنياً وألف مقاتل سوري، فضلاً عن الجرحى⁽³⁾.

وكان من نتائج هذه الحرب تشريد 330 ألف فلسطيني آخرين، وخفوت نجم جمال عبد الناصر، وضعف الثقة بالأنظمة العربية، وسعي الفلسطينين إلى أخذ زمام المبادرة بأيديهم، ونمو الحركة الوطنية الفلسطينية أكثر وأكثر، غير أن أحد أبرز النتائج المؤسفة قد أصبح تركيز الأنظمة العربية - بل و م.ت.ف فيما بعد - على استعادة الأرض المحتلة 1967م (الضفة والقطاع)؛ أي 23% من أرض فلسطين، والاستعداد الضمني للتنازل عن الأرض المحتلة سنة 1948م، والتي قامت كل هذه الحروب والمنظمات أساساً لتحريرها.

3- بروز الهوية الفلسطينية :

اضطرت الأنظمة العربية تفادياً لموجات السخط الشعبي، وتجاوزاً لحالة الإحباط الناتجة عن حرب 1967م، إلى إفساح المجال للعمل الفدائي الفلسطيني، الذي استطاع أن يبني قواعد قوية وواسعة في الأردن ولبنان، واستطاعت التنظيمات الفدائية الفلسطينية بقيادة فتح الوصول إلى قيادة م.ت.ف، التي أصبحت برئاسة ياسر عرفات منذ فيفري 1969⁽⁴⁾. وبرز خط الكفاح الشعبي المسلح وحرب العصابات،

واكتسبت الشخصية الوطنية الفلسطينية زخماً كبيراً، وتمكنت م.ت.ف في مؤتمر الزعماء العرب في الرباط في أكتوبر 1974م من الحصول من الدول العربية على الاعتراف بها ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني⁽⁵⁾.

وفي الشهر التالي حققت انتصاراً سياسياً، عندما دُعي ياسر عرفات لإلقاء خطابه في مقر الأمم المتحدة بنيويورك، وتم قبول م.ت.ف عضواً مراقباً، ولم تعد الأمم المتحدة تتعامل مع قضية فلسطين كقضية لاجئين فقط، كما حدث طوال العشرين سنة الماضية، وإنما أخذت منذ 10 ديسمبر 1969م تعترف بوجود الشعب الفلسطيني، وأصدرت قرارات في السبعينيات تؤيد حق شعب فلسطين في تقرير مصيره، بل واتخاذ كافة السبل المشروعة لنيل حقوقه، ومنها الكفاح المسلح، ومنذ 1974م عادت قضية فلسطين لتدرج بنداً مستقلاً على جدول أعمال الأمم المتحدة لأول مرة منذ الأربعينيات، وكان أحد أهم القرارات المتخذة القرار رقم 3236 الصادر في 22 نوفمبر 1975م، ويحمل عنوان قرار حقوق الشعب الفلسطيني، وفيه يؤيد حقه في تقرير مصيره دون تدخل خارجي، وحقه في الاستقلال والسيادة الوطنيين، وحقه في العودة إلى أرضه، وحقه في استعادة حقوقه بكل الوسائل، وفقاً لمقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه، ثم توالى قرارات "الشرعية" الدولية المؤيدة للحق الفلسطيني، ووجد الصهاينة أنفسهم في حالة حصار سياسي، خصوصاً أن الأمم المتحدة أخذت منذ سنة 1975م تتخذ قرارات تعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال التفرقة العنصرية. غير أن الولايات المتحدة كانت دائماً على استعداد للوقوف بجانب الكيان الصهيوني، ونقض أي قرارات دولية ملزمة عبر استخدامها حق النقض الفيتو⁽⁶⁾.

وهكذا، فإن الكفاح المسلح أجبر العالم على سماع صوت أبناء فلسطين، وفرض عليهم احترامه. لكن الضربات التي تلقتها المقاومة الفلسطينية، والضعف والتمزق العربي والإسلامي، قلّل من إمكانيات الاستفادة الجديدة من الدعم الدولي.

وإذا كان خط المكاسب الفلسطينية السياسية قد تصاعد على الساحة العربية والدولية في هذه المرحلة، فإن خط العمل الفدائي الفلسطيني المسلح، وخط الدعم العربي الفاعل، اللذين شهدا صعوداً في البداية، ما لبثا أن تراجعا وانحسرا إلى مستويات متدنية — في النصف الثاني من هذه المرحلة — بحيث أثر سلباً على المكاسب السياسية نفسها.

4- الكفاح الفلسطيني المسلح :

لقد كانت الفترة (1967- 1970م) هي الفترة الذهبية للعمل الفدائي الفلسطيني حيث كانت حدود الأردن مع فلسطين المحتلة (360 كم) ومع لبنان (79 كم) مفتوحة للعمليات الفدائية. وكانت معركة الكرامة في 21 مارس 1968م التي كبدت الاسرائيليين خسائر فادحة نصراً معنوياً ومادياً للمقاومة الفلسطينية⁽⁷⁾، فاندفع عشرات الآلاف للتطوع للقتال، وقد تطور العمل الفدائي الفلسطيني من 12 عملية شهرياً سنة 1967م إلى 52 عملية شهرياً سنة 1968م إلى 199 عملية شهرياً سنة 1969م إلى 279 عملية شهرياً في الأشهر الأولى من عام 1970م⁽⁸⁾، لكن الصدمات العنيفة التي حدثت بين الجيش الأردني والمقاومة الفلسطينية في سبتمبر 1970م، وفي جويلية 1971م أدت إلى إخراج العمل الفدائي الفلسطيني من الأردن، وحرمان المقاومة من أهم ساحاتها، غير أن المقاومة الفلسطينية استطاعت أن ترسخ قاعدة نفوذها في لبنان، لكنها اضطرت لخوض صراع عنيف مع الجيش اللبناني لتحقيق ذلك، وانتزعت اتفاق القاهرة في نوفمبر 1969م الذي يُخوّلها حق العمل المسلح عبر لبنان، لكنها ما لبثت أن وجدت نفسها تدخل في مستنقع الحرب الأهلية اللبنانية، حيث استهدف التحالف الكتائبي الماروني الذي أشعل فتيل الحرب في أفريل 1975م التواجد الفلسطيني أساساً. وقد استنزف هذا كثيراً من طاقات المقاومة الفلسطينية ودماء أبنائها، ومصادر دعمها، وأضعف قدرتها على التركيز ضد العدو الصهيوني، وتعدت هذه المعاناة إلى معارك وحروب مع أطراف حليفة مثل حركة "

أمل⁽⁹⁾ الشيعية، التي قامت بحصار مرير للمخيمات الفلسطينية لأكثر من سنتين (1985-1987م). وفوق ذلك فإن مصر وسوريا أغلقتا حدودهما في وجه المقاومة الفلسطينية، وهذا جعل العمل الفدائي الفلسطيني من الخارج باتجاه فلسطين أشبه بالمستحيل، ومن جهة أخرى، فإن الكيان الصهيوني استخدم أساليب الانتقام الشرسة من المناطق التي تؤوي العمل الفدائي، سواء في الأردن أو لبنان، وبالع في الانتقام من المدنيين الأبرياء، وتدمير البنية التحتية من مصانع وجسور ومحطات كهرباء ومحاصيل زراعية وغيرها⁽¹⁰⁾، وفي لبنان قام الصهاينة بحملات مكثفة على منطقة العرقوب (1970-1972م)، واغتالوا ثلاثة من قادة م.ت.ف في أفريل 1973م، وقاموا بحملة اجتياح واسعة للجنوب اللبناني في مارس 1978م، نجحوا على إثرها في إنشاء حزام أممي لهم داخل الحدود اللبنانية بقيادة سعد حداد، الذي قاد جيش لبنان الجنوبي العميل للصهاينة. وفي معركة الشقيف 19 أوت 1980م حققت المقاومة الفلسطينية نجاحاً كبيراً ضد الهجوم الصهيوني، وكان اجتياح الجيش الصهيوني للبنان في صيف 1982م؛ هو الأضخم والأعنف، وقد تمكن من اجتياح الجنوب بسهولة وسرعة نسبية، غير أنه توقف عند أسوار بيروت حوالي ثمانين يوماً، حيث واجهته المقاومة الفلسطينية وحلفاؤها بمقاومة عنيفة، وتضحيات كبيرة، في الوقت الذي كان العالم العربي والإسلامي والدولي يقف موقف المتفرج⁽¹¹⁾.

ورغم أن المقاتل الفلسطيني أثبت شجاعته وكفاءته، ورغم أن الصهاينة فشلوا في سحق الفدائيين وقيادتهم، إلا أنهم نجحوا في تدمير معظم البنية التحتية للعمل الفدائي الفلسطيني. وأجبر أكثر من ستة آلاف فدائي فلسطيني على الخروج من لبنان - وفق تسوية وقف إطلاق النار - إلى معسكرات بعيدة في اليمن وتونس والجزائر والسودان، وهكذا ضُيق الخناق على أية مقاومة فلسطينية محتملة من خارج فلسطين. ونتيجة لما سبق، فإن معدل العمليات الفدائية من الخارج، قد انخفض في السبعينيات، وتراجع إلى حدود متواضعة جداً في الثمانينيات، غير أنه تم تنفيذ عدد

من العمليات النوعية التي تجدر الإشارة إليها، مثل عملية سافوي التي نفذتها حركة فتح في تل أبيب في 6 مارس 1975م، وأدت إلى مقتل خمسين جندياً وخمسين مدنياً، وعملية كمال عدوان التي نفذتها فتح أيضاً في 11 مارس 1978م، التي أدت إلى مقتل 37 وجرح 82 إسرائيلياً، وبرزت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مجال اختطاف الطائرات خصوصاً سنة 1970م، وفي الهجوم على مطار اللد في 30 ماي 1972م، مما أدى إلى مقتل 31 وجرح 80 آخرين، ونفذت الجبهة الشعبية - القيادة العامة عملية الخالصة في 11 أبريل 1974⁽¹²⁾، كما نفذت الجبهة نفسها عملية الطائرة الشراعية في نوفمبر 1987م.

وهكذا، فمنذ عام 1982م أدّى الإنهاك العسكري لـ م.ت.ف إلى استضعاف سياسي، وكسب أنصار تيار "الواقعية" فيها دفعات جديدة باتجاه تبني الحلول السلمية، والحقيقة أن م.ت.ف بدأت تُغيّر من خطابها السياسي منذ فترة مبكرة، فدعت في أواخر الستينيات إلى إقامة الدولة العلمانية الديمقراطية التي تضم الفلسطينيين واليهود، متنازلة عن ضرورة عودة المهاجرين اليهود إلى بلادهم، ثم تبنت برنامج النقاط العشر سنة 1974م، الذي يفسح المجال للعمل السياسي كأحد وسائل تحرير فلسطين، بعد أن كان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحريرها، وكثر الحديث بعد ذلك عن الحلول المرحلية وإقامة الدولة الفلسطينية على أي جزء من فلسطين يتم تحريره (أو استرجاعه بطرق أخرى)⁽¹³⁾.

وكانت موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على مشروع التسوية العربي (مشروع فاس) سنة 1982م تنازلاً كبيراً إذ تضمن اعترافاً ضمناً بالكيان الصهيوني وما اغتصبه من معظم أراضي فلسطين سنة 1948م، عندما وافقت على حق جميع دول المنطقة في العيش بسلام (بما فيها الكيان الصهيوني)، كما وافقت على الدخول في مفاوضات لتحقيق التسوية، وواجهت منظمة التحرير الفلسطينية سنوات عجافاً

خلال (1983-1987م) انعكست على شكل تراجع في الأداء النضالي المسلح، وفي التأثير والفاعلية السياسية حتى في الوسط العربي نفسه.

5- فلسطين والتملص العربي :

كان لترسيخ الهوية الوطنية الفلسطينية وتمثيل.ت.ف⁽¹⁴⁾ الشرعي الوحيد للفلسطينيين أثره البالغ ، حيث صبَّ ذلك- عملياً - في إزاحة أُنْقال المسؤولية تجاه القضية عن أكتافها، وتحميلها للفلسطينيين وحدهم. وخفتت أصوات "قومية المعركة" لتتحصّر في الإطار الفلسطيني الضيق⁽¹⁵⁾، الذي كان عليه أن يواجه أعتى قوى العالم، وأخذت مع الزمن (خصوصاً بعد 1973م) مسؤولية البلدان العربية تنحصر في الدعم السياسي والاقتصادي، بل إن الدعم الاقتصادي نفسه أخذ يضعف منذ الثمانينيات بعد أن سعت كل دولة إلى تقديم أولوياتها المحلية، وبعد أن انشغلت الدول النفطية بمشاكلها الناتجة عن انخفاض أسعار النفط. ولم تسلم م.ت.ف من مشاكل مع عدد من الأنظمة العربية، جعلتها أعجز عن القيام بمهامها، فمشاكلها مع الساحة الأوسع والأهم الأردن غطت حقبة السبعينيات، ومشاكلها مع لبنان لم تهدأ طوال المرحلة، ومشاكلها مع سوريا استعرت سنة 1976م، ثم عادت للتصاعد منذ عام 1983م وما تلاه، عندما طُرد ياسر عرفات من دمشق، وتمت محاولة القضاء على تواجد أنصاره في شمال لبنان، وخصوصاً مخيمات نهر البارد والبدوي في العام نفسه⁽¹⁶⁾.

هذا بالإضافة، إلى حالة العداء مع أكبر قوة عربية مصر (خصوصاً الفترة 1977-1983م) بعد دخولها في مشروع التسوية السلمية، وتوقيعها اتفاق كامب ديفيد. بينما انشغل العراق بحربه مع إيران (1980-1988م) ليفقد كثيراً من فاعليته على الساحة، من جانب آخر كان الموقف العربي في بداية هذه المرحلة متصلباً، فانعقد مؤتمر الخرطوم في يوليو 1967م، وقرر الملوك والرؤساء والأمراء العرب أن "لا

صلح، ولا مفاوضات، ولا استسلام" مع الصهاينة، ودخلت مصر وسوريا في حرب استنزاف مع الكيان الصهيوني.

وفي 06 أكتوبر 1973م اندلعت الحرب العربية الإسرائيلية (حرب أكتوبر/ رمضان) شاركت فيها سوريا ومصر ضد إسرائيل، وحقق الطرفان العربيان في البداية بعض النجاحات، وتمكن المصريون من الزحف نحو الجناح الشرقي لقناة السويس والتوغل داخل سيناء، كما تمكن السوريون من التوغل داخل الجولان⁽¹⁷⁾، لكنما لبثت إسرائيل — مستفيدة من جسر جوي من الدعم الأمريكي — أن أخذت زمام المبادرة، فأحدثت اختراقاً في الجهة الغربية لقناة السويس (ثغرة الدفرسوار)⁽¹⁸⁾.

كما استعادت ما فقدته في الجولان، واحتلت 39 قرية سورية جديدة، واعتبر التحسن النسبي في الأداء العربي، وخسائر إسرائيل الجسيمة في حرب أكتوبر كسراً لأسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر، واستعادة للمعنويات والثقة التي أهينت في حرب 1967⁽¹⁹⁾، وتم تصوير حرب أكتوبر عربياً باعتبارها نصراً مؤزراً، وظهرت قيادتا سوريا ومصر بمظهر الأبطال، غير أن الرئيس المصري السادات استخدم هذه الحرب لتحريك الوضع باتجاه التسوية، واستفاد منها بحيث لا يوضع بعد ذلك موضع الاتهام أو التقصير، حيث أنه "بطل أكتوبر"، وحيث أن مصر "أدت ما عليها" تجاه فلسطين، فقام السادات بزيارة الكيان الصهيوني في نوفمبر 1977م، ووقع اتفاقية كامب ديفيد في سبتمبر 1978م، التي تُدخل مصر في سلام مع الكيان الصهيوني، وتُوقف حالة الصراع بينهما، بينما تسترجع مصر شبه جزيرة سيناء⁽²⁰⁾، وبذلك خسرت القضية الفلسطينية أهم طرف فاعل في الصراع ضد الصهاينة، مما أضعف مستقبلاً من إمكانات أية مواجهات عسكرية شاملة ضد "إسرائيل".

وربما كان من المفيد أن نشير إلى أنه إثر حادثة إحراق المسجد الأقصى تم إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي سنة 1969م، والذي شكل بادرة أمل لتوحيد جهود المسلمين لدعم قضية فلسطين، وقد قامت هذه المنظمة بعقد الكثير من الاجتماعات،

وأصدرت عشرات القرارات بدعم قضية فلسطين سياسياً ومالياً وعسكرياً وإعلان الجهاد، غير أن قراراتها بقيت حبراً على ورق، لأنها افتقرت إلى أية آلية حقيقية ملزمة لتنفيذ القرارات.

6- ظهور التيار الإسلامي الفلسطيني:

أخذت الظاهرة الإسلامية وسط الفلسطينيين تستعيد حيويتها في هذه المرحلة، وتزايد الاتجاه نحو الإسلام، بعد أن رأت الجماهير فشل الإيديولوجيات القومية والعلمانية واليسارية في حل القضية، وكانت مشاركة الإخوان المسلمين في العمل الفدائي الفلسطيني (1968-1970م) عبر ما عرف بـ "معسكرات الشيوخ" في الأردن بالتنسيق مع حركة فتح، أحد مظاهر الحيوية المبكرة، حيث تم تدريب نحو 300 رجل توزعوا على سبع قواعد فدائية، وشاركوا في عدد من العمليات النوعية⁽²¹⁾.

وفي عام 1980م كشف تنظيم "أسرة الجهاد" في الأرض المحتلة 1948م، واعتُقل نحو ستين من أعضائه، بعد أن قام بعدد من العمليات، وقُبض سنة 1984م على الشيخ أحمد ياسين وعدد من رفاقه، بعد اكتشاف مخزن أسلحة في أحد المساجد، بتهمة إنشاء تنظيم جهادي ضد الصهاينة، كما تشكلت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين سنة 1980م، وكان أعضاؤها المؤسسون أفراداً سابقين في الإخوان المسلمين، ونشطت في القيام بعدد من العمليات، غير أن العمل الإسلامي الجهادي ظلّ محدوداً متواضعاً طيلة هذه الفترة قياساً بالمنظمات الفلسطينية الأخرى وخصوصاً فتح، ولكنه كان في الوقت نفسه إرهاباً لمرحلة قادمة يلعب فيها دوراً أساسياً، وكان المكسب الأبرز للتيار الإسلامي هو اتساع شعبيته وتناميها خصوصاً منذ منتصف السبعينيات سواء داخل فلسطين المحتلة أو في الأردن والكويت ولبنان وغيرها، وأخذ الإسلاميون يفوزون في الانتخابات الطلابية منذ أواخر السبعينيات كما في جامعة النجاح في نابلس، وجامعة غزة الإسلامية وغيرهما، وفي جامعات

الأردن، كما أخذوا في الانتشار والسيطرة على النقابات المهنية. ونجحوا في ميادين العمل الخيري والاجتماعي والتعليمي مما مكنهم من تأسيس قاعدة واسعة صلبة، بحيث أصبح التيار الإسلامي (الإخوان المسلمون تحديداً) هو المنافس الأول للتيار العلماني الذي تمثله فتح والذي يسيطر على م.ت.ف.⁽²²⁾.

وتعتبر حركة الجهاد الإسلامي صدى إسلاميا شعبيا لحوار طويل بدأ من أواسط السبعينات على المسرح السياسي الفلسطيني بخصوص دور الإسلاميين في القضية الفلسطينية في الوقت الذي شكلت فيه القضية الفلسطينية قضية مركزية للحركة الإسلامية، ورفعت الحركة شعار القضية الفلسطينية كشعار واستراتيجية في الوقت نفسه، وذلك ليس في داخل فلسطين وحسب، وإنما أيضا بالنسبة لجميع الاتجاهات الإسلامية في المنطقة⁽²³⁾.

7- الانتفاضة الفلسطينية الأولى :

في التاسع من شهر ديسمبر عام 1987م صدمت شاحنة إسرائيلية سيارة أجرة فلسطينية في قطاع غزة، مما أدى إلى مقتل أربعة فلسطينيين وجرح تسعة . انتشرت في الحال إشاعة مفادها أن الحادث هو في الحقيقة عملية اعتداء نظمها المستوطنون بدافع الثأر لواحد منهم كان قد طعن بالخنجر منذ أيام⁽²⁴⁾ .

كما اندلعت الانتفاضة في قطاع غزة، ثم انتقلت إلى الضفة الغربية ،حيث بدأ الشباب بإلقاء الحجارة على كل ما هو إسرائيلي ،ودعمهم في ذلك الكبار وأسرهم، وتم اعتبارا من شهر جانفي تنظيم إضرابات للتجار في المراكز الحضرية ،بينما أبدت الأرياف تضامنها عبر إقامة الحواجز على الطرق ومهاجمة العربات الإسرائيلية. وكانت الانتفاضة إعلان لوحدة جميع التيارات والقوى تحت قيادة منظمة التحرير الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين.

وهناك من حاول إضفاء طابع العفوية والصدفة على الانتفاضة، إذ حاولت بعض أجهزة الإعلام الإسرائيلية أن تنسبها إلى المشاعر التي تفجرت في الصدور عندما داهمت شاحنة عسكرية إسرائيلية في الثامن من ديسمبر 1987م أربعة من العمال الفلسطينيين بغزة فقتلتهم، وأن عددا من الصحفيين الفلسطينيين أشاع ونشر خاصة في جريدة الفجر التي تصدر باللغة العربية، أن الحادث لم يكن قضاء وقدرًا، ولكن عن سبق إصرار وترصد، انتقاما من قتل الجنود الإسرائيليين الستة في عملية الفدائي الطائر (25).

تجاوزت السياسة الإسرائيلية في ممارسة مختلف الضغوط نقطة التوازن، حيث لم يعد الخوف من القمع يعادل فقدان الأمل بالمستقبل، كما أن عمل إسحاق رابين، وزير الدفاع الذي زعم أنه سيضع حدا للانتفاضة بتحطيم عظام المتظاهرين، حيث بالرغم من مقتل 27 شخصا وجرح 179 واعتقال 1200 خلال شهر ديسمبر 1987م، إلا أن الحركة الاحتجاجية اتسعت أكثر فأكثر، والأهم من هذا أنها اتخذت شكلا منظما (26).

إن مختلف مكونات منظمة التحرير الفلسطينية (27) دخلت في اللعبة بفضل بنيتها الأساسية السرية، وظهرت منذ تاريخ 04 جانفي 1988م القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة التي دعت في بيانها الأول إلى تكثيف النضال حتى إنهاء الاحتلال والاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة، وكان يصدر كل 15 يوم بيانا جديدا عن تلك القيادة، وقد جاء في البيان الثالث: "لقد حققت الانتفاضة في أيامها الملهبة ما عجز أي نظام عربي عن تحقيقه خلال عدة سنوات، لقد انتزعت قرارات دولية أدت إلى عزلة المحتل الإسرائيلي وأعدت قضية شعبنا الفلسطيني إلى رأس قائمة الأولويات الدولية، وأحببت إلى الأبد محاولات الرجعيين الرامية إلى خنق منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا الفلسطيني.... وتعيد القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة تأكيدها بأن الثمار السياسية للانتفاضة ستكون الحرية والاستقلال

،وتعلن عن تصميمها على قهر الحصار والسياسة الراميين إلى تجويع الأهالي ،وتطلب من مجلس الأمن الاعتراف بضرورة التدخل المباشر والسريع والفعال من أجل ضمان الحماية الدولية لشعبنا على أساس القرارين 605 و 607 كمقدمة للدعوة إلى مؤتمر دولي يتمتع بجميع السلطات وبمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية ، الممثل الوحيد والشرعي لشعبنا ،مما هي طرف خاص ومستقل"(28) .

وتوالى سقوط الشهداء، واتسعت المظاهرات لتعم أرجاء الضفة والقطاع، وليشارك فيها كافة أبناء الشعب، وتميزت هذه الانتفاضة بأربعة مظاهر:

- أن أهل "الداخل" المحتل (الضفة والقطاع) أخذوا زمام المبادرة النضالية الجهادية، بعد أن كانت بيد العمل من "الخارج".
- أن التيار الإسلامي شارك بقوة وعنف وفاعلية، وبرز على ساحة المواجهة بحجم منظم مؤثر.
- أنها شملت كافة قطاعات الشعب الفلسطيني واتجاهاته وفئاته العمرية.
- أنها اتسمت بالجرأة والتضحية، والمشاركة الواسعة للأطفال والفتيان والنساء، وبالمظاهر النبيلة من إثارة وتعاون وشهامة، وبالقضاء على مظاهر العمالة والفساد من خمر ودور له.
- وتميزت المرحلة الأولى من الانتفاضة بالمواجهات الشعبية الواسعة والإضرابات، والمظاهرات، ومقاطعة الإدارة المدنية الصهيونية، وتنظيف المجتمع من العملاء ومروجي الفساد والمخدرات. وبعد نحو أربع سنوات أخذت تبرز المرحلة الثانية، التي شهدت تنامي العمليات المسلحة ضد الصهاينة، مع تراجع الأنشطة الجماهيرية الواسعة.

وقد عدّت حركة فتح وحلفاءها في م.ت.ف اتفاقية أوسلو (سبتمبر 1993م) نهاية للانتفاضة، فأوقفت فاعليتها، أما الجهات الأخرى وخصوصاً حماس والجهاد الإسلامي فقد استمرت في فعاليتها، بل وصعدتا من عمليتهما الجهادية(29) .

8- الإعلان عن دولة فلسطين :

عبر قرار مجلس الأمن رقم 606 في 22 ديسمبر 1987م - بامتناع أمريكا - عن أسفه لممارسات إسرائيل التي تخرق حقوق الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة فتحركت الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق مبعوثها في المنطقة "شولتز"، وجعلت من الاعتراف الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل شرطاً أساسياً لقبولها عضواً مفاوضاً ، وفي تلك الأثناء قامت فرقة إسرائيلية باغتيال أبو جهاد بتونس ، وفي جوان 1988م ألح شولتز على ضرورة تشكيل وفد مشترك أردني فلسطيني وعلى رفض قبول قيام دولة فلسطين مستقلة.

وفي نهاية جويلية 1988م أعلن الملك حسين عن انسحاب الأردن الكامل من القضية الفلسطينية ، وقطعت كل الصلات الإدارية والاقتصادية والسياسية مع الضفة الغربية بعدما تعب من مبادرات السلام التي لا تنتهي والتي لا تؤدي إلى شيء . أجبرت الانتفاضة الدول العربية على الاعتراف بدور منظمة التحرير الفلسطينية القيادي المشرق العربي والأطماع الدولية، وقد مكّن هذا الوضع عرفات وفريقه من القيام باسم الانتفاضة بالتنازلات التي طالبن بها الولايات المتحدة، مع التأكيد في ذات الوقت نهائياً على مشروع إقامة دولة بتجسيد هذا المشروع ، وقد قام ياسر عرفات بزيارة للبرلمان الأوروبي يوم 14 سبتمبر 1988م كرر خلالها تعهده بعدم اللجوء للإرهاب، وذلك يعني في كلامه عدم نقل الصراع خارج فلسطين ، كما يعني قبوله بالشرعية الدولية بما في ذلك كل قرارات الأمم المتحدة ، وأكد رغبته في التوصل إلى سلم دائم مع إسرائيل ⁽¹⁾، واتخذ المجلس الوطني الفلسطيني بمدينة الجزائر من 12 إلى 15 نوفمبر 1988م القرار التاريخي بإعلان استقلال دولة فلسطين ⁽³⁰⁾.

- خاتمة:

وحاصل القول، فقد توصلنا إلى بعض النتائج، يمكن أن نوجزها فيما يأتي:

- تعد القضية الفلسطينية أهم القضايا التي تواجه العرب والمسلمين اليوم، فهي قضية معقدة ذات أبعاد سياسية ودينية واقتصادية، وأدق ما يقال فيها أن الصراع صراع وجود بكل ما تحمله هذه الكلمة من أبعاد.
- وصفت حرب 1948م بفضيحة الأسلحة الفاسدة التي استوردت لصالح الجيوش العربية والمصرية على الخصوص والتي أدت إلى مقتل عدد كبير من الأفراد بأسلحتهم مما أثر على معنويات الجيش العربي كما كانت قيادة الجيوش العربية من قبل أحانب مثل الجيش الأردني الذي قاده غلوب باشا الذي كثيرا ما أمر بالانسحاب من مواقع دون قتال. وانتهت حرب 1949م بتوقيع أربع (04) اتفاقيات سنة 1949م.
- رغم الإنجازات الباهرة لحرب 1973م، إلا أن القضية الفلسطينية تأثرت بأحداث أصابت النضال العربي والفلسطيني بالعقم؛ كاندلاع الحرب الأهلية في لبنان واغتيال ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير فيصل، وقضية الصحراء الغربية كلها حدثت في عام 1975م، ثم وفاة الرئيس الجزائري هواري بومدين 1978م، وزيارة الرئيس المصري أنور السادات لإسرائيل وعقد معاهدة سلام ثنائية 1979م، ومجازر صابرا وشتيلا في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان 1982م. التي قادها السفاح آريل شارون... وهذه الابتلاءات كلها لم تكن عزيمة الشعب الفلسطيني الذي سيفجر انتفاضة عارمة في 1987م.
- لكن انخيار الاتحاد السوفياتي وتصعد المعسكر الشيوعي واندلاع حرب الخليج الثانية (غزو العراق للكويت) وتزعم الولايات م . أ للنظام الدولي الجديد كل هذه المتغيرات الدولية سترغم بعض العرب إلى الهرولة لمشاريع التسوية التي فرضتها اسرائيل بتأييد ومباركة زعيمة العالم الولايات م . أ .ومازال نضال الشعب العربي الفلسطيني من أجل الحرية والاستقلال وعودة اللاجئين مستمرا.

هوامش البحث:

1. أسعد عبد الرحمن، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، نيقوسيا 1985.
2. مجيد علوي، التاريخ العسكري للشرق الأوسط 1940 – 2000، ط 1، مركز ابن رشد للبحوث، لندن 2003، ص 81.
3. حسين غازي، الصراع العربي الإسرائيلي والشرعية الدولية، ط 1، مطبعة الكاتب العربي، دمشق 1995، ص 54-60.
4. عاطف أبو سيف، عاطف أبو سيف، القضية الفلسطينية في السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي، (د.ت)، ص 2-3.
5. محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مجلة أقلام الثقافية، ص 60.
6. الموسوعة الفلسطينية، ج 1، ص 360-362.
7. محسن محمد صالح، المرجع السابق، ص 61.
8. صلاح خلف، فلسطين بلا هوية، ط 2 دار الجليل للنشر، عمان، 1996، ص ص 96-98.
9. حركة أمل هي حركة شيعية لبنانية مسلحة، أسسها موسى الصدر في لبنان سنة 1975م لتكون الجناح العسكري لحركة المحرومين من الشيعة. وللدفاع عن مصالحهم كمذهب متميز عن السنة، في الصراع الطائفي اللبناني، بعد حرب رمضان عام 1393هـ — 1973م عباً موسى الصدر شيعية جنوب لبنان بسبب الصراع المسلح، لحماية الشيعة في مواجهة اليهود في فلسطين المحتلة. وفي عام 1395هـ — 1974م أسس الصدر حركة المحرومين.. للدفاع عن مصالح الشيعة في لبنان، وألحق بها ميليشيا مسلحة عام 1975م أطلق عليها اسم (أفواج المقاومة اللبنانية) وعرفت هذه الميليشيات اختصاراً بـ (أمل) وهي كلمة تضم الحروف الأولى من اسم الميليشيا، وتدربت حركة أمل على السلاح في معسكرات منظمة فتح الفلسطينية. وبقيت حركة أمل تحت قيادة موسى الصدر إلى أن اختفي في ظروف غامضة فاستلم قيادتها نبيه بري القائد الحالي للمنظمة. انظر، عبد الله محمد الغريب، أمل والمخيمات الفلسطينية، ط 3، بدون دار نشر، 1988م.
10. محمد عبد السلام، الحروب العربية الاسرائيلية، في، مجلة المعرفة، ع 23، ص 12-13.
11. محمد حسنين هيكل، حدود السلاح، دورية وجهات نظر، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، ع 25، القاهرة، فبراير 2002، ص ص 4-15.
12. الموسوعة الفلسطينية، ج 2، ص 313-314، وص 567، وج 3، ص 661-662، وج 4، ص 42.
13. أحمد صدقي الدجاني، مسيرة الشعب الفلسطيني وآفاق الصراع العربي الإسرائيلي في الثمانينات، ط 1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1980، ص 17 و 18.
14. (م ت ف) منظمة التحرير الفلسطينية.
15. أحمد صدقي الدجاني، المرجع السابق، ص 14.

16. هنري لورنس اللعبة الكبرى المشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية، ترجمة محمد مخلوف، ط1، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، 1992، ص 360-361.
17. عبده مباشر، صالونات أكتوبر (المشير محمد عبد الغني الجسمي والمشير محمد علي فهمي)، ط1، وزارة الثقافة، الهيئة العامة للمركز الثقافي القومي، دار الأوبرا المصرية، 1998، ص 86.
18. هنري لورنس، اللعبة الكبرى - المشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية- ص 279.
19. يوسف كعوش، الدروس المستفادة من الحروب العربية الإسرائيلية 1947-1986، ط1، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 1987، ص 67.
20. محسن محمد صالح، المرجع السابق، ص 65.
21. محسن محمد صالح، المرجع السابق، ص 66.
22. محسن محمد صالح، المرجع السابق، ص 67.
23. هنري لورنس، اللعبة الكبرى - المشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية- ص 406.
24. نفسه، ص 407.
25. هي عملية فدائية قام بها فلسطيني بطائرة شراعية ورقية والتي هاجمت بنجاح أحد معسكرات الجيش الإسرائيلي في الجليل وحصدت ستة جنود وجرح العشرات منهم، وهي عملية تبنتها القيادة العامة للجهة الشعبية... انظر لطفي الخولي، الانتفاضة والدولة الفلسطينية، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1988، ص 27.
26. هنري لورنس، اللعبة الكبرى - المشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية- ص 407.
27. تشكلت منظمة التحرير الفلسطينية من حركة فتح والجهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش والجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بقيادة حواتمة والحزب الشيوعي الفلسطيني. انظر هنري لورنس، اللعبة الكبرى - المشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية- ص 407.
28. نفسه، ص 407.
29. محسن محمد صالح، المرجع السابق، ص 70.
29. هنري لورنس، اللعبة الكبرى، المشرق العربي والأطماع الدولية، ترجمة عبد الحكيم الأربد، ط2، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية العربية الليبية، 1999، ص 559.
30. عبد الهادي النشاش، الإنتفاضة الفلسطينية الكبرى، ط1، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1994، ص 80-81.

● قائمة المراجع:

- أسعد عبد الرحمن، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، نيقوسيا 1985.
- الخولي لطفي، الانتفاضة والدولة الفلسطينية، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1988.

- الدجاني أحمد صدقي ، مسيرة الشعب الفلسطيني وآفاق الصراع العربي الإسرائيلي في الثمانينات ، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، 1980.
- الدجاني أحمد صدقي ، مسيرة الشعب الفلسطيني وآفاق الصراع العربي الإسرائيلي في الثمانينات ، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، 1980.
- صلاح خلف، فلسطين بلا هوية، ط2 دار الجليل للنشر، عمان، 1996.
- عاطف أبو سيف، القضية الفلسطينية في السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي، (د.ت)
- عبد السلام محمد ، الحروب العربية الاسرائيلية ، في ، مجلة المعرفة ، ع 23 ، ص ، 12-13 .
- علوي مجيد ، التاريخ العسكري للشرق الأوسط 1940 – 2000 ، ط1 ، مركز ابن رشد للبحوث ، لندن 2003 .
- غازي حسين ، الصراع العربي الإسرائيلي والشرعية الدولية ، ط1، مطبعة الكاتب العربي ، دمشق، 1995.
- الغريب عبد الله محمد ، أمل والمخيمات الفلسطينية، ط3، بدون دار نشر، 1988م.
- كعوش يوسف ، الدروس المستفادة من الحروب العربية الإسرائيلية 1947-1986 ، ط1، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان 1987 .
- مباشر عبده ، صالونات أكتوبر (المشير محمد عبد الغني الجمسي والمشير محمد علي فهمي) ، ط1، وزارة الثقافة ، الهيئة العامة للمركز الثقافي القومي ، دار الأوبرا المصرية ، 1998.
- محسن محمد صالح : القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة ، مجلة أقلام الثقافية، (د.ت).
- المرعشلي أحمد وآخرون ، الموسوعة الفلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، 1984 .
- النشاش عبد الهادي ، الانتفاضة الفلسطينية الكبرى ، ط1، دار البنايع للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1994.
- هنري لورنس ، اللعبة الكبرى – الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية، دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1992.

- هنري لورنس ، اللعبة الكبرى ،المشرق العربي والأطماع الدولية ،ترجمة عبد الحكيم الأربد ،ط2 ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،الجماهيرية العربية الليبية ، 1999.
 - هنري لورنس، اللعبة الكبرى المشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية ،ترجمة محمد مخلوف ،ط1، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث ، 1992 .
 - هيكل محمد حسنين، حدود السلاح، دورية وجهات نظر، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، ع 25، القاهرة، فبراير 2002.
-